سلسلة
الأشياء فى عيون الصغار

○ قالب الثلج البردان

○ التمرة والنواة

تأليف
أحمد الشيخ

رسوم
ياسر نصر



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

قالب الثلج البردان

جاء صيف ساخن زادت فيه سخونة الجو، وبحث الناس عن الظل والماء البارد وقطع الثلج فى كل مكان، خرجت كل قوالب الثلج من أماكنها وشاركت فى العمل، وقوالب الثلج كما تعرفون مستطيلات من المعدن أو البلاستيك فيها مربعات صغيرة منفصلة وتمتلئ تلك المربعات بالماء قبل أن تدخل الثلاجة ومكانها الطبيعى هو ذلك المكان المخصص لصناعة الثلج، وكلما زادت حاجة الإنسان إلى قطع الثلج زاد نشاط قوالب الثلج، تمتلئ بالماء وتدخل الثلاجة ثم تخرج وقد تحول الماء إلى مكعبات صغيرة منفصلة من الثلج، وقالب الثلج الذى نتحدث عنه والذى ادعى أنه بردان لم يكن صادقاً فى كلامه، إنه مجرد قالب ثلج من البلاستيك، وهو يعرف ذلك جيداً، ويعرف أنه من الصعب تصديق كلامه عن إصابته بالبرد، وإذا كان قالب الثلج نفسه سوف يشعر بالبرد وهو المصنوع خصيصاً ليعيش ويساهم فى صناعة الثلج، إذا شعر بالبرد وكفّ عن تأدية وظيفته فإن الإنسان لن يحصل على أى قطعة من الثلج يرطب بها جسمه فى الصيف ولابد فى هذه الحالة أن تقلده الثلاجة صانعة الثلج، وتتوقف عن العمل، ولابد أن الموقد هو الآخر

سوف يقول إنه يعانى من السخونة الزائدة، وفى هذه الحالة لا يحصل الإنسان على طعامه أو شرابه بالطريقة المناسبة، ومثل هذا الكلام هو الفوضى بعينها، لقد صنع الإنسان كل هذه الأشياء لكى تساعده فى الحياة، وهو لم يصنعها إلا بعد آلاف أو ملايين التجارب، ولا يحق لأى شىء مصنوع طبقاً للمواصفات العلمية أن يخدعنا أو يرفض العمل مثلما فعل قالب الثلج الذى قال للقطة إنه بردان.

أنتم تعرفون أن السوائل يمكن أن تتجمّد بالبرودة وهذا هو ما يحدث للماء عندما يدخل الثلاجات، وتعرفون أن بعض المواد الصلبة تتحول إلى سوائل بفعل الحرارة، ويعرف قالب الثلج نصف الحقيقة الخاصة بتحول الماء إلى ثلج، لكنه لا يعرف أو يجرب نصف الحقيقة الآخر الخاص بتأثير الحرارة فى الأجسام الصلبة ويمكن أن نتخيل ما جرى لقالب الثلج الذى أدعى أنه بردان وأنه فى حاجة إلى بعض الدفء أو بعض الحرارة، ولابد أنكم تتوقعون أن حكاية قالب الثلج يمكن أن تتحول إلى درس لكل قوالب الثلج الأخرى

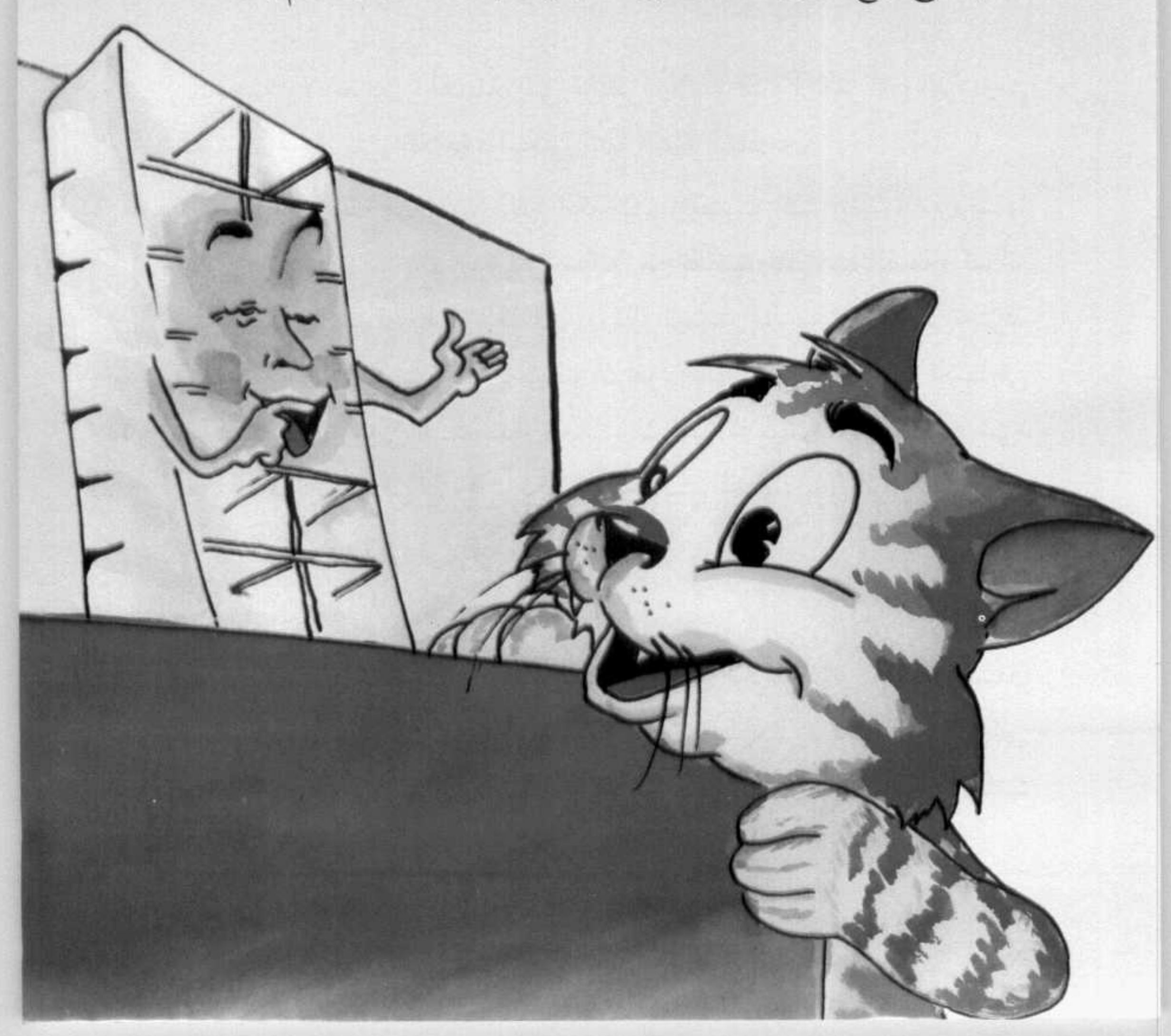
التى صنعت من البلاستيك، المسألة واضحة طبعاً، قالب ثلج مصنوع من البلاستيك يدعى أنه مصاب بالبرد وأنه يرغب فى الدفء أو الحرارة، لكن لماذا نسبق الأحداث؟ سوف نتركها تسير بنظام كما حدث فى الواقع ونعرف ما جرى لقالب الثلج.

قلنا أن قوالب الثلج دخلت الثلاجة وفى فراغاتها كميات صغيرة من المياه وأنه بعد فترة خرجت نفس القوالب وقد تجمدت المياه وتحولت إلى مكعبات شفافة من الثلج، لكن أهل البيت كانوا فى حاجة إلى مزيد من قطع الثلج لاستخدامها وقد استجابت كل قوالب الثلج وامتلأت مربعاتها بالماء وذهبت إلى مكانها المعروف، لكن قالب الثلج من البلاستيك لم يطاوع، فى أول الأمر أسقط نفسه على الأرض، وعندما أعادته سيدة البيت وحاولت أن تملأ فراغاته مال على جنبه وانسكب الماء، رأته قطة البيت الواقفة، وللحقيقة فإن هذه القطة كانت ذكية وتعرف أنه مشاغب، قالت قطة البيت لقالب الثلج:

– لماذا لا تثبت مكانك؟ هل تظن أنه لا يوجد فى الدنيا قالب ثلج غيرك؟

لكن قالب الثلج نظر إليها وهو مستعد للعراك ثم قال:

– مالك أنت أيتها القطة الساذجة ؟ ابحثى لنفسك عن قطعة من مخلفات السمك، أو ابحثى عن فأر فى الشارع المجاور. إننى فى كل الحالات قالب ثلج رائع، وفى استطاعتى أن أرش عليك الماء البارد. ثم إنك قطة



ساذجـة ولا تعرفين الحقـيقة. إننى مريض ولابـد أننى ارتعش من البرد ومن الغباء أن أدخل إلى الثلاجة، اسكتى أيتها القطة الساذجة.

غضبت القطة من قالب الثلج الكذاب، وغضبت أكـثر بسبب أنه وصفها بالسذاجة، وهى المرة الوحيدة التى تسمع عن نفـسها مثل هذه الصفة، ثم أنه يتـحدث عن تفـوقه وهـو الكسلان، وقطة البـيت عندمـا تغضب لا تعـرف التسـامح، وربما بسبب ذلك يحق لنا أن نقول عنهـا أنها قطة ذكيـة لكنها فى نفس الوقت تميل إلى اسـتخـدام العنف ولا تحب التسـامح، والتسـامح شىء مطلوب فى الكثير من الأوقات لكن القطة قالت لنفسها:

- سوف أعاقبه على كل حال.

وقالت له:

- سامحنى إذا أسئت، أنت قالب رائـع من البلاستيك ولابد أنك صادق فى كـلامك، إن دخـول الثلاجـة والخـروج منهـا بكثـرة يمكن أن يؤدى إلى الإصابة بالبرد، وأصحاب هذا البيت نفـسه عندهم طفل مصاب بالبرد بسبب أنه وقف أمام الثلاجة أكثر من مرة وبابها مفتوح.

كانت القطة تخدع قالب الثلج فى واقع الأمر، لكن قالب الثلج صدقها، وصدق على وجه الخصوص قولها إنه قالب ثلج رائع، وأن دخول الثلاجة بكثرة يؤدى إلى الإصابة بالبرد، قال قالب الثلج:

- ثم إنك قطة ولست صاحبة البيت، ولم يكن من حقك الوقوف فى المطبخ. وفكرت القطة فى أن تخدعه أكثر فقالت:

- عندك حق، لكن دخولى إلى المطبخ له أسباب، ومن أهمها أنك مصاب بالبرد وإننى أعرف أفضل طريقة لشفاء قالب ثلج بردان من برده.

وسألها قالب الثلج وهو يعتقد أنها صالحته:

ورد عليها: هل أنت طبيبة أيتها القطة؟

وردت عليه القطة بتواضع:



- لا يحق لى أن أدعى ذلك، فأنا لم أذهب إلى الجامعة، لقد حصلت على الإعدادية بصعوبة، لكننى برغم ذلك أعرف شيئاً عن التمريض، وأعرف على وجه الخصوص علاج حالات البرد، وقد يكون قالب الثلج نفسه قد صدق الكذبة التى قالها وقد لا يكون، لكنه على أى حال استمر فى الكذبة، وارتكب الخطأ الفادح عندما قال للقطة:

- عالجينى إذن.

واقتربت منه القطة التى تميل إلى العنف أحياناً ولا تحب التسامح مع الخصوم، اقتربت منه وقالت:

- إذن تمدد فى مكانك، ولا تتحرك، سوف أعالجك، أغمض عينيك، افتح فمك .. شهيق .. زفير، وهكذا قلدت القطة كلام الطبيب الذى يأتى لعلاج أهل البيت، وكان قالب الثلج نفسه يشعر بالفرح لأنه أصبح مهماً لدرجة أن القطة تكشف عليه لأنه مريض، لكن القطة كانت تفكر فى شىء آخر كان قالب الثلج مازال مغمض العينين، وكانت هى تنظر ناحية الموقد المشتعل واللهب يظهر لها وتحس سخونته.. وبقفزة سريعة داست على طرف قالب الثلج فارتفع إلى أعلى ثم سقط قريباً من اللهب، لكن اللهب عندما أحس بوجوده بالقرب منه اقترب أكثر، وشعر قالب الثلج بدفء، ثم بسخونة، سخونة شديدة، وزاد اللهب قرباً منه فصرخ، سمعته سيدة البيت وشمت رائحة طرف قالب الثلج الذى احترق، أسرعت وأبعدته عن اللهب، لكنه كان قد أصيب بالتواء فى جدار أربعة مربعات وانفتح مربع آخر من

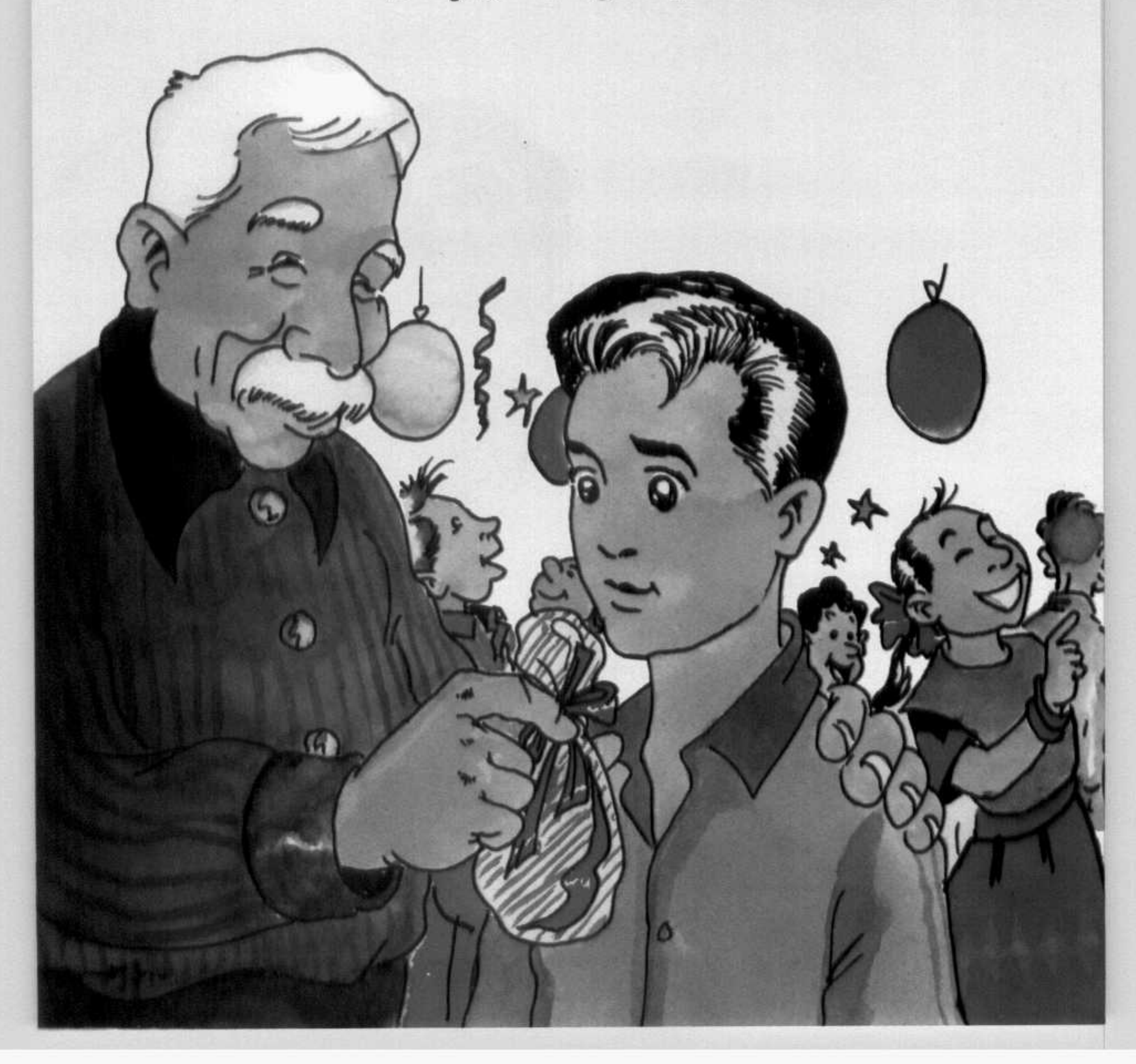
جدارين، وكان فى واقع الأمر قد فسد، وكانت القطة هناك تمؤ وكأنها غاضبة لأنه لم يحترق تماماً، وعندما طردتها صاحبة البيت خرجت وذيلها وراءها وقد وقف مثل راية النصر، وذهب قالب الثلج إلى وعاء القمامة وهو يشعر بالألم الذى تسبب فى صنعه اللهب، نفس اللهب الذى رآه ولم يعتقد أنه قادر على أن يصبه بأى أذى، وربما من بعد تلك الحادثة لم يفكر أى قالب ثلج فى عدم دخول الثلاجة أو الخروج منها وقت الطلب.



أنتم تعرفون التمر طبعاً، كلنا نعرف التمر، يقولون أن بلح التمر هو أهم وأقدم طعام عرفه الإنســان العربى. وحكايتنا هذه المرة عن تمرة بلح فى قلبها نواة، حكايتنا تبدأ بالتمرة والنواة، وتنتهى بالنخلة حاملة التمر الجديد.

حدثتــنى الأشياء ذات مــساء عن تمرة تحــب الأطفال والناس والأشـياء، كــانت التــمــرة فى كــيس مملوء بالــبلح، وكــان الأطفــال يرددون الأغنيــات ويضحكــون وكان هناك مولود جــديد أكمل يومــه السابع، وعــمره فى ذلك المساء ســبعة أيام، وقد اعــتاد الأطفال أن يرحبــوا بالمولود الجديد فى بلادنا، وفى الاحتــفال توقد الشــموع وتعلق الزينات ويأخذ الأطــفال الحلوى والبلح هدية من الطفل المولود، هكذا اعتدنا فى بلادنا لأننا نحب الحــياة حسنة، لقد بدأنا الحكاية، تمرة فى قلبها نواة تحب الحياة وكانت التمرة فى الكيس الكبير، وخرجت التمــرة من الكيس الكبير ودخلت الكيس الصغــير، وعندما خطف

المولود كيس، وفى الـكيس كانت التمـرة التى تحب الحيـاة، وكان هناك طفل صغـير اسمـه حازم لم يخطف كيـساً، ولم يشتـرك فى الزحام، لكن الرجل الطيب الذى هو جد للطفل المولود رآه، أخذه فى يده.. وطلب منه أن يأخذ الكيس من حضن الطفل المولود، كان الولد اسمه حازم وكان يخجل من أخذ الأشياء دون استئذان ولذلك تردد حتى شجعه الرجل الطيب قائلا:



- آه إن لم تأخذ هذا الكيس فسوف يغضب الطفل المولود، انظر، إنه يبكي لأنك ترفض أن تأخذ منه الكيس وكل الأطفال أخذوا منه ولم يبق غيرك، وهذا الكيس.



خاف حازم أن يغضب الطفل الوليد فأخذ الكيس وجلس، فتحه، كانت فى الكيس بلحة تمر تحب الأطفال وتحب الحياة، أخرجها حازم وأكلها، شعر بحلاوتها، أكثر من كل البلحات التى أكلها قبل ذلك، ونظر حازم إلى النواة، كانت مجرد نواة بلح لكن الطفل أحبها واحتفظ بها فى يده، لم يشأ أن يلقى بها كما يفعل الأطفال، وعندما ذهب إلى البيت فكر أن يحتفظ بها ولم يعرف فى أى الأماكن يحتفظ بها، سيقولون له إنها مجرد نواة بلح ويلزم أن تتخلص منها وتضعها فى سلة المهملات، وأى طفل مؤدب فى هذه الدنيا يعرف أننا نتخلص من الأشياء الزائدة التى لا تفيد، لأنه من الصعب أن نحتفظ بكل الأشياء، وماذا تعنى نواة بلح فى نهاية الأمر ؟ إنها نواة بلح، ومكانها الطبيعى هو سلة المهملات، لكن الولد حازم لم يفكر بهذه الطريقة، وكذلك فعلت النواة، لو كانت نواة البلح تتكلم لقالت له:

- اذهب واغرسنى فى الأرض السمراء، ازرعنى فربما أنمو وأصبح نخلة تطرح البلح وتصنع تحتها الظل فى شمس الصيف.

لكن نواة البلح لم تتكلم، وعندمـا أغفى الولد كـانت النواة مازالت فى يده، وعندما استيقظ فى الصباح الباكر لم يجد نواة البلح . . بحث عنها كثيراً وكان يبكى وكانت الأم تعجب لذلك كثيراً، صحيح أنها وجدت فى يده نواة بلح فـأخذتهـا وألقت بها فى سلة المهـملات وليس من الممكن أن نـقول لأم مهـما كـانت الأسبـاب أنها أخطأت عـندما نظفت المكان، كـان الولد يبكى ويطالب بنـواة البلح التى كـانـت فى يده، والأم تحـاول إسكاته، تـقـدم له عشـرات التمرات ليأكلهـا ويأخذ منها ما يـشاء من نوى البلح، لكنه رفض، وبكى وسألها عن تلك النواة التى كانت معه قبل أن ينام.

لم تتعب الأم كـثيراً فى العـثور على تلك النواة، كـانت نواة البلح فوق ورقة بيـضاء فى أعلى سلة المهـملات وعندما أخـذتها الأم وسـألت حازم إن

كانت هى أجاب بفـرح إنها نواته وهو يستطيع أن يعرفـها من بين ألف نواة، هل فرحت الـنواة وهى فى كف حازم كـما فرح حـازم بتلك النواة؟ لابد أن نعترف أن النواة كانت تحب الأطفال وتحب الحياة وأنها تحلم باليد التى تزرعها فى الأرض، ولابد أن نتخيل الولد وهو يفكر:

- أفضل طريقة للاحتفاظ بنواة بلح هى غرسها فى الأرض السمراء.

ولأن لبيت حازم حديقة قام وحفر حفرة صغيرة فى ركن الحديقة، وضع النواة وردم عليـهـا، سـقاها من المـاء حتى رواها، والأم تـنظر ولا تتكلم،



هل تعرفـون كم من السنوات مرت قبل أن تكبـر النواة وتصبح نخلة، أنا لا أعرف فى حساب السنوات والشـهور والأيام، لكننى أعرف أن حازم الآن هو طبـيب الأطفال المشـهـور الذى يسكن فى البيـت المقابل، وأعـرف أنه يحب الأطفال والحياة، وأنه فى موسم البلح يأتى لزيارتنا ويعطينى من ثمار النخلة، التى زرعهـا وهو طفل فى الرابعة، وأنه يوصى كل طفل يلـتقى به بأن يزرع فى الأرض نواة بلح، فمن يدرى، ربما تكبـر وتصبح نخلة مثمـرة مثل نخلة صديقنا حازم التى كانت مجرد نواة تحب الأطفال والناس والأشياء.

رقم الإيداع: ٨٠٨٦ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N.
977-294-199-6